الفصل الرابع

الفضائيات الموجّهة

❁ قنوات أجنبية ناطقة باللغة العربية

- لمحة تاريخية
- أهداف هذه القنوات
  - ❑ قناة الحرة الأمريكية
  - ❑ قناة العالم الإيرانية
  - ❑ قناة الـ BBC الإنجليزية
  - ❑ قناة روسيا اليوم
  - ❑ قناة DW الألمانية
  - ❑ قناة فرانس ٢٤
  - ❑ القناة الصينية

❁ قنوات عربية ناطقة بلغات أجنبية

- أهداف هذه القنوات
  - ❑ قناة النيل الدولية Nile TV
  - ❑ قنوات سعودية وكويتية
  - ❑ قناة الجزيرة الدولية

فضائيات أجنبية باللغة العربية

لمحة تاريخية :

تبث الدول العظمى والكبرى صاحبة المصلحة أو الطامعة فى الهيمنة على البلاد العربية، ـ إذاعات باللغة العربية موجهة إلى الجماهير العربية. وهذه الإذاعات بدأت فى الظهور بقوة خلال الحرب العالمية الثانية وكانت أشهر الإذاعات الموجهة فى تلك الفترة هى الإذاعات التى تطلقها ألمانيا النازية لتحريض الجماهير العربية ضد الحلفاء بشكل عام، وبشكل خاص ضد الجيوش البريطانية التى تحتل معظم البلاد العربية فى تلك الفترة. وبالمقابل كانت إنجلترا توجه إذاعتين إحداهما محطة «الشرق الأدنى» التى تبث من القدس ثم انتقلت بعد قيام إسرائيل إلى قبرص وإذاعة الـ «BBC» الناطقة باللغة العربية التى تبث من لندن. ومع تعاظم دور الإعلام أصبحت الإذاعات الموجهة إلى الدول العربية والدول الإسلامية فى آسيا والدول الإفريقية ودول أمريكا اللاتينية أحد أهم الأسلحة الإعلامية التى تستخدمها الدول للترويج لسياساتها أو لمهاجمة خصومها. وكانت مصر من أكثر الدول اهتماماً بهذه الإذاعات الموجهة بعد ثورة يوليو[1]. فأطلقت القاهرة عشرات الإذاعات الموجهة إلى الدول بلغاتها المحلية أو بالإنجليزية والفرنسية.

أما الإذاعات الموجهة إلى المنطقة العربية والمعنية بالدفاع عن سياسات الدول الكبرى فكانت الـ BBC «الإنجليزية» وصوت أمريكا «الولايات المتحدة الأمريكية» ومونت كارلو «فرنسا» وإذاعة موسكو العربية «الاتحاد السوفييتى».

قصدت بهذه اللمحة التاريخية أن أكشف للقارئ اهتمام الدول باستخدام الإعلام فى صوره المختلفة لكسب الرأى العام سواء بمهاجمة الخصوم أو بمحاولة الإقناع بسياسات الدول التى تُطلق هذه الإذاعات.

ومن الطبيعى أن يكون البث الفضائى التليفزيونى الذى يمثل التطور الطبيعى للبث العابر للقارات والقادر على اختراق كل الحواجز والحدود، هو

(١) المزيد من التفاصيل تضمنها الفصل الأول فى الصفحات الخاصة بـ «الحرب الإعلامية» .

الأسلوب الأمثل الذى يسمح بالوصول إلى الجماهير العريضة فى أى بلد دون أن يستطيع نظام الحكم فى هذا البلد أو ذاك أن يمنعه من الوصول إلى الجماهير، بل إن هذا التطور أضاف ميزة بالغة الأهمية وهى تقديم الأحداث نابضة بالحياة صوتاً وصورة من مواقع الأحداث ، وهو الأمر الذى يضيف عنصرًا مهمًّا من عناصر إقناع الجماهير.

أهداف هذه القنوات:

عندما تطلق أى دولة إذاعة أو قناة تليفزيونية موجَّهة لبلد أو منطقة ما، فإنها تفعل ذلك لتحقيق أهداف تتعلق بمصالح هذه الدولة التى أطلقت القنوات الموجهة، وإنها ـ أى هذه الدولة ـ توجه قنواتها الإذاعية والتليفزيونية إلى الدول التى لها علاقة بهذه المصالح.

ولو أننا أردنا أن نتعرف على أهداف الدول التى توجه قنواتها التليفزيونية إلى البلاد العربية فبوسعنا أن نحدد أهدافاً عامة تشترك هذه القنوات جميعاً فى محاولة تحقيقها. ثم هناك أهداف خاصة لكل قناة تتعلق بأهداف ومصالح الدولة التى أطلقتها. أما الأهداف العامة فأراها على النحو التالى:

أولا: تبرير سياسات الدول التى أطلقت هذه القنوات ومحاولة إقناع الرأى العام فى الدول العربية بأن هذه السياسات هدفها تحقيق مصالح الدول والشعوب العربية، أو على الأقل ليست موجهة ضد هذه المصالح.

ثانيا: استعراض جوانب التقدم والتفوق فى مجال العلوم الحديثة وجودة المنتجات الصناعية فى تلك البلاد لتحقيق ميزة تنافسية لمنتجاتها فى أسواق البلاد العربية التى تعتبر من أهم الأسواق المستهلكة لمنتجات هذه البلاد. وتحظى الصناعات الغربية بشكل خاص باهتمام ملحوظ لضمان عقد صفقات تسليح كبرى مع الدول العربية التى تخصص ميزانيات ضخمة للإنفاق على التسلح، ودخلت روسيا حديثًا فى هذا المجال بعد أن استعادت صناعاتها الحربية عافيتها وحاولت المنافسة فى هذا المجال.

ثالثاً: محاولة كسب ثقة الجماهير العربية بإقناعها بأن هذه الدول تستطيع أن تسهم فى تنمية البلاد العربية سواء بضخ استثمارات أو بنقل التكنولوچيا الحديثة.

رابعاً: تشكيل صورة ذهنية للقوة الهائلة التى لا تقهر والتى تملكها الدولة صاحبة القناة. ويتم ترسيخ هذه الصورة بتسريبها عبر برامج شتى وأعمال درامية جذابة. والنتيجة الطبيعية فى مثل هذه الحالات إقناع الجماهير التى ترفض سياسات هذه الدول بأن أى صراع معها مصيره الفشل والهزيمة، وأن القبول بسياسات هذه الدول هو طوق النجاة الذى يحقق لها الأمن والسلامة والحماية. «تركز إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية على هذا الجانب» .

أهمية البلاد العربية

تعتبر البلاد العربية منطقة جذب مهمة للدول العظمى الساعية للهيمنة على المناطق الاستراتيچية والسيطرة على المناطق الغنية بالبترول؛ المصدر الأهم للطاقة التى يعتمدعليها التقدم والنمو فى العالم كله. ومن يتمكن من السيطرة عليه يضمن امتلاك قوة هائلة فى جميع مجالات التنافس مع الدول الأخرى. وإذا كان البترول طوال العقود السابقة هو الثروة التى تثير لعاب الدول العظمى، فقد أضيف إلى البترول عنصران، أحدهما يتعلق بالثروات الطبيعية التى تملك منها البلاد العربية مخزوناً ضخماً مثل الغاز الطبيعى «فى الجزائر وقطر ومصر» واليورانيوم «دارفور» والثروات الزراعية «السودان والصومال والعراق نسبياً». وهذه الثروات الزراعية أضيف إلى أهميتها البالغة كغذاء للإنسان الاتجاه الحديث لاستخدام بعض المحاصيل فى إنتاج الوقود الحيوى الذى يأمل العلماء أن يعوّض النقص المتوقع فى إنتاج البترول. كما أنها ـ أى المنطقة العربية بموقعها الجغرافى ومناخها يمكن أن تكون حقلاً لإنتاج الكهرباء من الطاقة الشمسية التى يمكن أن يتم تصديرها إلى أوربا[1].

(١) تشير أنباء كثيرة إلى أن الدول الأوربية تقوم فعلا بدراسات جدوى اقتصادية وفنية لمشروعات إنتاج الكهرباء من الطاقة الشمسية فى البلاد العربية التى تتمتع بسطوع الشمس طوال العام تقريبا ونقل هذه الكهرباء عبر شبكة متصلة بالشبكة الأوربية.

ويضاف إلى الأهمية البالغة لهذه الثروات الطبيعية، عنصر الموقع الجغرافى الذى يطل على وسط آسيا، ليصبح المنطقة الممتازة لمراقبة وحصار النفوذ المتنامى لثلاث قوى عظمى تتحرك بقوة لمنافسة الولايات المتحدة الأمريكية وهذه القوى الثلاث هى الصين والهند وروسيا.

هذه الأهمية الكبرى للثروات والموقع هى المحرك لعمليات الغزو الأمريكى لأفغانستان والعراق والهيمنة على العديد من البلاد العربية بكل الوسائل المتاحة. وهى أيضاً التى تحرك دولاً عظمى منافسة لمحاولة الحصول على موطئ قدم بالمنطقة خاصة روسيا وبعض الدول الأوربية.

وهنا يأتى دور الإعلام الموجّه الذى يهيئ المناخ لنفوذ أو هيمنة تسمح بتحقيق أهداف الدول التى تطلق القنوات الموجهة. ويضاف إلى هذه الدول العظمى الطامحة فى الهيمنة على المنطقة بعض دول الجوار الراغبة فى أن يكون لها دور موثر وكلمة مسموعة فى الإقليم مثل تركيا وإيران.

نفوذ إقليمى :

وترى إيران بشكل خاص أن الظروف مهيأة لأن تلعب دوراً إقليمياً له وزنه، معتمدة على نسبة لا بأس بها من المسلمين الشيعة فى العراق ولبنان وسوريا وبعض دول الخليج والمناطق الشرقية من المملكة العربية السعودية. وفى الصراع الذى تخوضه إيران مع أمريكا وإسرائيل بعد سقوط نظام الشاه، يصبح هذا الإقليم إقليمياً مؤثراً لإيران ويصبح ورقة مهمة فى أى محاولات لتسوية هذا الصراع خاصة مع أمريكا.

من هنا يأتى دور الإعلام الموجة الذى يهيىء المناخ الملائم لهذه الدول لتحقيق أهدافها وذلك بكسب الرأى العام فى الدول العربية.

وبالإضافة إلى هذه الأهداف العامة فإن لكل دولة من الدول التى تطلق هذه الفضائيات الموجهة أهدافاً خاصة بهذه الدولة. وسوف أتعرض لهذه الأهداف الخاصة بتفصيل مناسب عند الحديث عن هذه الفضائيات.

والآن إلى حديث يتعرض لأهم الفضائيات الموجهة إلى المنطقة العربية. وسأقتصر على الملامح العامة لهذه القنوات دون الخوض فى تفاصيل كثيرة. كما أننى لن أتعرض لجميع الفضائيات التى تُوَجَّه إلى منطقتنا العربية لصعوبة متابعة جميع هذه القنوات من ناحية ولأن الكثير منها ليس له تأثير ملحوظ يستحق التوقف عنده.

قناة الحرة «الأمريكية» :

تابعت الجماهير العربية الحرب التى شنتها القوات الأمريكية وحلفاؤها على العراق من خلال البث المباشر الذى قدمته قنوات عربية «كالجزيرة» و«العربية». وكانت مشاعر الجماهير العربية ملتبسة، وإن مالت إلى رفض أى منطق لتبرير غزو أجنبى «أمريكى» لدولة عربية.

وكان مَرَدُّ هذا الالتباس مشاعر السخط على الممارسات القمعية التى كان يمارسها الرئيس العراقى صدام حسين ويضاف إلى هذا الشعور ترويج الإعلام الرسمى لبعض الأنظمة العربية لمبررات الغزو الأمريكى. ومع سقوط صدام حسين وبداية السيطرة الكاملة لقوات الغزو الأمريكية على العراق، بدأت نتائج الاحتلال العسكرى الأمريكى تتبدى فى صور شتى تستفز المشاعر الوطنية والقومية، ومارست قوات الاحتلال الأمريكى أبشع ألوان القهر الوحشى ضد العراقيين.

وبدأت مشاعر الغضب والكراهية تنتشر بسرعة مذهلة ضد الاحتلال الأمريكى. وأسهمت الفضائيات العربية فى تأجيج مشاعر الكراهية والغضب ضد قوات الاحتلال الأمريكى وضد السياسات الأمريكية فى المنطقة بشكل عام، خاصة سياسات أمريكا المساندة والمشاركة لكل ما تمارسه إسرائيل من عدوان بشع على الشعب الفلسطينى.

وهنا قررت الإدارة الأمريكية تخصيص ميزانية ضخمة لإطلاق فضائية ناطقة باللغة العربية لتجميل وجه أمريكا وتبرير سياساتها.

بدأت قناة «الحرة» بداية غير موفقة مهنياً فبدلاً من الالتزام ـ ولو شكلاً ـ بالموضوعية، كرّست برامجها لدعاية المباشرة للسياسة الأمريكية المرفوضة

جماهيرياً. واختارت ضيوف برامجها فى الكثير من الأحيان من الشخصيات التى لا تثق فيها الجماهير العربية. كما أن الكثير من الشخصيات المعروفة بمواقفها الوطنية والقومية المحترمة رفضت المشاركة فى برامج هذه القناة فى بداياتها المبكرة.

وبعد فترة تأكد فيها المسئولون الأمريكيون من فشل هذه القناة فى كسب الجماهير العربية، حاولوا تغيير الخطاب الدعائى المباشر والفج بخطاب إعلامى ظاهره الالتزام المهنى وبقدر من الموضوعية. ورغم ذلك فإن الجماهير العربية لم تمنح ثقتها لهذه القناة وظلت تتعامل معها باعتبارها منصة دعاية أمريكية لا أكثر.

وقد حاولت قناة «الحرة» أن تنافس موجة البرامج الجماهيرية التى جذبت الجماهير بمناقشة قضايا الفساد والحريات ومساوئ الحكومات العربية. فدخلت مجال هذه البرامج وقدمت الكثير من المواد التى تكشف سوءات أنظمة الحكم العربية سواء فى نشرات الأخبار أو البرامج الجماهيرية.

ورغم إقبال الجماهير على متابعة مثل هذه البرامج فإن الجماهير العربية ترى أن القناة فى هذه الموضوعات فقط، قناة يمكن متابعتها والترحيب بما تبثه فى هذا المجال، باعتبارها منبراً تستثمره قوى المعارضة لأنظمة الحكم العربية للتعبير من خلاله عن رؤاها وعن رفضها لممارسات وسياسات الأنظمة، التى تمنع قوى المعارضة من التعبير عن نفسها عبر الإعلام الرسمى.

ويعلل بعض الخبراء تركيز قناة «الحرة» فى بعض الحالات على برامج وأخبار تكشف عن الممارسات السيئة وعن الفساد المستشرى فى عدد من البلاد العربية ـ هذا الاتجاه بأنه محاولة لتحقيق هدف مزدوج :

الشق الأول منه: كسب ثقة الجماهير التى تمنح ثقتها لكل قناة تكشف فساداً ماليًا أو سياسيًا وتسمح بتوجيه الانتقادات لسياسات وممارسات الحكام العرب.

الشق الثانى: للضغط على هذه الأنظمة العربية، بالتلويح بإمكانية فتح المزيد من ملفات الفساد أو إغلاقها حسب درجة قبول هذه الأنظمة لتنفيذ ما تطلبه الولايات المتحدة منها.

وأتوقع أن تحاول هذه القناة استثمار مناخ تراجع عدد كبير من الفضائيات العربية عن تقديم البرامج الجماهيرية الناقدة للفساد المالى والسياسى لأنظمة الحكم العربية، بعد محاولات وزراء الإعلام العرب وضع قيود عنيفة على الفضائيات العربية بحيث اضطرت معها هذه الفضائيات إلى خفض سقف الحرية الممنوح لمقدميها. وفى هذا المناخ تستطيع قناة «الحرة» أن تستغل غياب هذه القنوات عن ساحة المتابعة النقدية الحادة والساخنة لممارسات أنظمة الحكم العربية، فتتوسع فى هذه النوعية من البرامج مطمئنة إلى أن الحكومات العربية ستقف مكتوفة الأيدى أمام هذه القناة الأمريكية. وأن هذه الحكومات لن تمتلك الجرأة أو الوسائل التى تمكنها من منع هذه القناة من البث أو حتى منع مراسليها والمتعاملين معها من أداء عملهم. وبهذا تكسب هذه القناة جماهيرية واسعة فى غياب هامش الحرية الذى كانت تتمتع به القنوات الخاصة.

أهداف خاصة :

١ - الدفاع عن الانحياز الأمريكى لإسرائيل :

تدرك الإدارة الأمريكية مدى الرفض العربى الشامل للانحياز الأمريكى لإسرائيل، فتحاول أن تقنع الجماهير العربية بأن سياساتها متوازنة وأنها - أى أمريكا - هدفها تحقيق سلام شامل ومستقر فى المنطقة وهذا الاتجاه هو أحد الأهداف الخاصة التى تشغل المسئولين عن قناة «الحرة».

٢ - الموقف من الإسلام :

بعد تفجيرات نيويورك الشهيرة تصاعدت موجة العداء للمسلمين والإسلام فى أمريكا وشجعت الإدارة الأمريكية القوى التى تعادى الإسلام والمسلمين. وكان رد فعل المسلمين فى جميع أنحاء العالم مزيداً من السخط على الإدارة الأمريكية ليس فقط باعتبارها المناصر لإسرائيل بل لأنها تقود فى هذه المرحلة حرباً شرسة ضد الإسلام والمسلمين.

وفى نهايات حكم الرئيس الأمريكى بوش الابن حاول هذا الرئيس أن يخفف من حالة السخط الإسلامى بتصريحات تتحدث بقدر معقول من

الاحترام عن الإسلام ونفى العداء الأمريكى للمسلمين. وعندما تولى الرئيس أوباما منصب الرئاسة الأمريكية كانت الظروف مهيأة لقناة «الحرة» لتقدم خطاباً إعلامياً مغلّفاً بالكثير من عبارات المودّة والصداقة مستندة إلى أصول أوباما الإسلامية وإلى حرصه على توجيه رسائل ودودة للعالم الإسلامى فى خطاب خاص تم بثه من القاهرة بلد الأزهر. كل هذه الملابسات ساعدت قناة «الحرة» على بث المواد التى تحاول أن تقنع المسلمين بأن أمريكا صديق مخلص للمسلمين، وأنها تحترم الإسلام وتقدّر دوره الحضارى.

٣ - تشوية صورة الخصوم :

ولا تنسى «الحرة» أن تحاول تشويه صورة الصين بالتركيز على موقف الصين من حقوق الإنسان، وتقدم نماذج كثيرة تدلل على انتهاك السلطات الصينية لحقوق المواطنين الصينيين. فهذا الهدف الخاص يحقق للسياسة الأمريكية خلق مناخ غير متعاطف مع الصين التى تقتحم أسواق البلاد الإسلامية والعربية بقوة، والتى تكسب تعاطف الجماهير فى هذه البلاد مما يفيدها فى المنافسة فى مجالات الاستثمار والتجارة فى أسواق هذه الدول.

وتضيف «الحرة» خطاباً إعلامياً يشكك العرب فى نوايا «إيران» التوسعية ضد دول عربية، وتحاول إقناع الدول العربية التى تسود فيها المذاهب السنّية بأن إيران تقوم بمحاولة نشر المذهب الشيعى. وهذه الأهداف الخاصة تحاول قناة «الحرة» تحقيقها إضافة إلى الأهداف العامة التى أشرت إليها.

وأعتقد أن الجماهير العربية ستبقى متشككة فى أهداف ونوايا هذه القناة ولن تستطيع القناة أن تكسب ثقة الجماهير العربية لأن الإعلام مهما بلغت براعته لا يستطيع أن يبرر أو يقدّم تفسيراً مقبولاً للسياسات الأمريكية المعادية للعرب والمنحازة لإسرائيل. فالأحداث اليومية ومواقف أمريكا الداعمة بشكل مطلق لكل الممارسات العدوانية الإسرائيلية تتكفل بإجهاض الجهود الإعلامية التى تبذلها قناة «الحرة» لتجميل وجه أمريكا. فالإعلام لا يستطيع أن يغير الواقع بمجرد الإدعاء بعدم وجود هذا الواقع ولهذا يستمر فشل قناة «الحرة» الأمريكية فى كسب ثقة الجماهير العربية.

قناة العالم «إيرانية» :

أطلقت إيران قناة «العالم» الموجهة إلى البلاد العربية، رغم أنها تملك قناة ضمن منظومة الإعلام الرسمى الإيرانى ناطقة باللغة العربية، لكنها أطلقت قناة «العالم» لتنافس بأسلوب مختلف عن أسلوب القنوات الرسمية. وتحاول قناة «العالم» أن تقدم إعلاماً يلتزم بالمعايير المهنية نسبياً، وأن تتجنب الدعاية المباشرة للسياسات الإيرانية، خاصة فيما يتعلق بنقاط الخلاف مع الدول العربية. كما تحاول أن تبتعد بدرجة معقولة عن الموضوعات التى تثير خلافات مذهبية خاصة مع المذاهب السنّية.

وتقدم هذه القناة العديد من البرامج التى تكشف السجل الأسود للإدارة الأمريكية فى مجال تعذيب السجناء السياسيين من معارضيها فى البلاد التى تحتلها، كمَشَاهد التعذيب الشهيرة فى سجن أبوغريب العراقى، وتبث القناة كل ما يدين الإدارة الأمريكية ويكشف عن تصرفات تناقض ما تدّعيه أمريكا من حرصها على حقوق الإنسان.

كما تركز القناة أيضاً على مهاجمة إسرائيل وتركز على الأخبار التى تحقق فيها المقاومة أى ضربات موجهة لإسرائيل، سواء فى فلسطين أو لبنان. وتوجه خطابها للجماهير فى البلاد العربية مغلّفاً بمسحة دينية تحاول من خلالها إثبات وحدة المسلمين مهما اختلفت مذاهبهم لمواجهة قوى العدوان والهجمة الأجنبية خاصة الأمريكية والإسرائيلية.

ورغم المحاولات المستمرة من هذه القناة علي التأكيد على وحدة المسلمين فإن القنوات التى تطلقها دول عربية إسلامية ليست على وفاق مع إيران، تنفخ فى قضية الخلافات المذهبية بين الشيعة والسنة. ويبدو أن هذه الحملات ضد محاولة إيران نشر المذهب الشيعى ، لذلك فإنها أثرت فى نسبة كبيرة من الجماهير العربية التى تتعامل بريبة وتحفّظ مع ما تبثه قناة «العالم» الإيرانية، خاصة الجماهير فى البلاد ذات الأغلبية السنية والتى أطلق بعضها العنان

لإعلامه لاتهام إيران بالسعى لنشر المذهب الشيعى فى البلاد العربية وتمويل جماعات شيعية لأداء هذه المهمة[1].

أهداف خاصة :

ومن الأهداف الخاصة التى تحاول قناة «العالم» أن تحققها بالإضافة إلى الأهداف العامة التى أشرت إليها :

١ - كسب تعاطف الجماهير العربية فى قضية المفاعلات النووية الإيرانية، وإقناع الجماهير العربية بأن امتلاك إيران، الدولة المسلمة، أسرار التكنولوچيا النووية يمثل كسباً كبيراً لكل الدول الإسلامية.

٢ - طمأنة الدول العربية خاصة دول الخليج، والتأكيد على أن تنامى القوة العسكرية الإيرانية . لايمثل أى خطر على أى بلد عربى، وأن حرص إيران على امتلاك قوة عسكرية رادعة هدفه الوقوف فى وجه الأطماع الأمريكية وتعديل ميزان القوة العسكرية بين إسرائيل والدول العربية هذا الميزان الذى يميل بشدة لصالح إسرائيل بمساندة أمريكا. وأن قوة إيران العسكرية قوة مضافة إلى قوة الدول العربية والإسلامية.

٣ - التأكيد على وحدة المسلمين بمختلف مذاهبهم ومحاولة نفى ما يتردد عن رغبة إيران فى نشر المذهب الشيعى بين جماهير المسلمين المعتنقين للمذاهب السنية.

٤ - تقديم الدعم الإعلامى للدول والقوى السياسية المتحالفة مع إيران فى الوطن العربى وأبرزها سوريا وحزب الله فى لبنان وحركة حماس فى فلسطين.

ومن الطبيعى أن ترحب الجماهير التى تعتنق المذهب الشيعى بهذه القناة. وتكسب القناة شرائح من أتباع المذاهب السنية خاصة فى فلسطين ولبنان. كما أن النصر الذى حققه حزب الله فى حربه مع إسرائيل لم يقف أثره الإيجابى

(١) اقتحمت سلطات الأمن المصرية مكاتب قناة «العالم» بالقاهرة فى محاولة للعثور على ما يدين القناة بمخالفات تستحق العقاب. وفى نفس الوقت أوقفت السلطات المسئولة بث القناة على القمر المصرى «النايل سات» فى شهر أكتوبر «تشرين أول» ٢٠٠٩. وبالتزامن مع وقف البث على القمر المصرى تم وقف بث القناة على القمر العربى «آراب سات». وفى نوفمبر «تشرين ثانى» ٢٠٠٩ أى بعد حوالى شهر أعيد بث القناة على القمر العربى «آراب سات» بينما استمر وقف بث القناة على القمر المصرى حتى تاريخ صدور هذا الكتاب.

عند حدود قناة «المنار» اللبنانية والتابعة لحزب الله بل تجاوزه إلى منح قناة «العالم» فرصة جيدة لكسب ثقة شرائح كبيرة من المسلمين الشيعة والسنة معاً الذين رأوا فى انتصار حزب الله وتحدى أمينه العام حسن نصر الله (الشيعى) لإسرائيل نصرًا عربيًا وإسلاميًا، وذاقوا حلاوة الانتصار على إسرائيل، هذا الشعور الذى لم يتذوقوه لعشرات السنين إلا فى لحظات خاطفة خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣.

الـ BBC العربية «إنجليزية»

فى بدايات عام ٢٠٠٨ بدأت هيئة الإذاعة البريطانية البث المنتظم لقناة الـ «BBC» الناطقة باللغة العربية. ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى تبث فيها هيئة الإذاعة البريطانية فضائية باللغة العربية. فقد سبق لهيئة الإذاعة البريطانية منذ أكثر من عشر سنوات أن قامت ببث فضائى باللغة العربية فى إطار مجموعة من قنوات «أوربت» السعودية كما ذكرنا من قبل[١].

ولم يكتب لهذه التجربة أن تستمر طويلاً فقد اصطدم حرص الـ BBC على المعايير المهنية المحترمة بالمحاذير والخطوط الحمراء التى يضعها النظام السعودى.

هذه التجربة أكدت لهيئة الإذاعة البريطانية ضرورة التفكير جدياً فى أن تطلق فضائية لا تخضع المعايير غير التى التزمت بها هيئة الإذاعة البريطانية بدرجة كبيرة طوال تاريخها، ولا تخضع لإدارة لها أهدافها الخاصة، واحتمالات تعارض أهداف الطرفين واردة دائماً.

الإصدار الثانى:

فى عام ٢٠٠٨ بدأ البث المباشر من لندن تحت السيطرة الكاملة لهيئة الإذاعة البريطانية. واعتمدت الـ «BBC» على تاريخها الطويل ورصيد الثقة الذى بنته طوال عقود اعتبرتها الجماهير العربية المصدر الأكثر صدقاً للأخبار،

(١) يمكن مراجعة تفاصيل هذه التجربة فى الفصل الثانى الخاص بالقنوات الخاصة وبالتحديد فى الصفحات التى تتحدث عن قناة «الجزيرة» وأيضاً فى الفصل الأول المعنى بالقنوات الحكومية والذى يصنف قنوات «أوربت» باعتبارها أحد قنوات المنظومة الإعلامية السعودية.

رغم أن الظروف التى كسبت فيها الـ «BBC» هذه الثقة لم تكن ظروفا مواتية؛ لأن قوات الاحتلال البريطانى كانت جاثمة على أراضى أوطان عربية كثيرة. وقد اهتزت هذه الثقة لفترة خلال الغزو الثلاثى لمصر عام ١٩٥٦ والذى تشاركت فيه إسرائيل وفرنسا وإنجلترا. لكن سرعان ما تمكنت الـ «BBC» من استعادة ثقة الجماهير العربية فيما تبثه من أخبار وبرامج سياسية.

وأعتقد أن الظروف الحالية تمنح قناة الـ «BBC» فرصة ممتازة بعد أن انتهى عهد الاستعمار البريطانى منذ سنوات طويلة. ولم تعد إنجلترا تمثل لدى الجماهير العربية قوة احتلال، وبالتالى لم تعد الـ «BBC» تعانى من مشاعر العداء الجماهيرى لإنجلترا والذى ينعكس بالضرورة ـ ولو نسبياً ـ على ما يتم بثه من إذاعة بريطانية.

الآن تخاطب قناة الـ «BBC» جمهوراً عربياً لا يحمل أى ضغينة أو عداء لإنجلترا، وبالتالى لا يحمل مشاعر شك تجاه الخطاب الإعلامى الصادر من لندن. هذا المناخ الجديد يمنح الـ «BBC» الفرصة لتتفوق على القنوات المنافسة ليس فقط بالمستوى المهنى الجيد الذى عُرفت به، بل أيضاً لأن الجماهير العربية ليس لديها مشاعر عداء تجاه إنجلترا التى تطلق هذه القناة أو شكوكاً فى نواياها تجاه العرب، بينما تستقبل الجماهير العربية العديد من القنوات الأخرى الموجهة بمشاعر عداء أو بشكوك كثيرة فى نوايا الدول التى تطلق هذه القنوات كما هو الحال مع قناتى «الحرة» الأمريكية و«العالم» الإيرانية.

وأعتقد ان الـ «BBC» العربية تستطيع إذا أحسنت استغلال الظروف المواتية أن تحتل موقع الصدارة بين جميع القنوات الموجهة المنافسة والتى تنظر لها الجماهير العربية بريبة. بل وبين الكثير من الفضائيات العربية الرسمية والخاصة فى حالة ما إذا تم التضييق على الفضائيات العربية. وفى هذه الحالة فلن يبقى على الساحة للمنافسة سوى قناة «الجزيرة» التى أظن أنها لن تستسلم لقيود وزراء الإعلام العرب وقناة «الحرة» وقناة «دبى» بدرجة ما

وقنوات مثل «روسيا اليوم» و«الألمانية» الناطقة بالعربية وقناة «فرانس ٢٤» وكلها لا تملك الخبرة التى تملكها الـ «BBC».

غير أن هذه الفرصة تحتاج إلى أن تقتحم الـ «BBC» مجال البرامج الجماهيرية التى تكشف الفساد السياسى والمالى لأنظمة الحكم العربية بجرأة أكبر، وأن تكون منبراً حراً لكل قوى المعارضة فى البلاد العربية. وأشك كثيراً فى أن تفعل الـ «BBC» ذلك لأنها تلتزم بالنهج المتحفظ المعروف عن هيئة الإذاعة البريطانية. ومع ذلك فإن ـ الـ «BBC» ـ تحظى بقدر كبير من ثقة الجماهير العربية خاصة فى مجال الأخبار وهى ثقة لها وزنها فى مجال الإعلام.

أهداف خاصة:

١ - محاولة تقديم إنجلترا على أنها ـ من خلال علاقات تاريخية مع الدول العربية ـ تملك الخبرة التى تجعلها الدولة القادرة على المساهمة فى تطوير وتنمية البلاد العربية.

٢ - استثمار التعاطف الطبيعى الذى يولده انتشار اللغة الإنجليزية فى منطقة البلاد العربية لجذب الاستثمارات والسياحة العربية.

قناة روسيا اليوم «موسكو»

خلال الفترة التى تعاظم فيها النفوذ السوفييتى فى المنطقة نافست إذاعة «موسكو» العربية باقى الإذاعات الموجهة إلى المنطقة خاصة «صوت أمريكا» والـ «BBC». وساهمت إذاعة «موسكو» العربية فى الحرب الإعلامية كأحد أسلحة الصراع فى فترة الحرب الباردة.

وبعد انهيار الاتحاد السوفييتى ونهاية النفوذ السوفييتى بالمنطقة العربية، وانكماش روسيا والدول التى خرجت من عباءة الاتحاد السوفيتى صمت صوت موسكو أو كاد ولم يعد لموسكو وجود إعلامى على الساحة العربية.

ومع استعادة روسيا فى بدايات هذا القرن لعافيتها الاقتصادية والسياسية وعودتها إلى المسرح الدولى كدولة عظمى تبحث عن النفوذ والمنافسة فى المناطق المهمة، عادت الروح إلى الإعلام الروسى الموجّة إلى المنطقة العربية.

وهذه المرة عاد على أثير قناة تليفزيونية فضائية هى «روسيا اليوم». وقد أُطلقت عام ٢٠٠٨ ناطقة باللغة العربية. وعاد الإعلام الروسى إلى المنطقة العربية فى ظروف أفضل لأنه يعود بخطاب لا تثقله الشعارات الأيدولوچية الشيوعية التى كانت تحول بينه وبين تعاطف قطاعات كبيرة من الجماهير العربية.

كما أن الموقف السياسى الروسى ليس به ما يثير عداء الجماهير العربية. وهذا المناخ يسمح لقناة روسيا اليوم بأن تنافس على كسب تعاطف الجماهير العربية.

ورغم هذه الظروف المواتية فإن قناة «روسيا اليوم» تفتقر حتى الآن للكثير من عناصر الجذب وتغلب عليها نغمة الدعاية المباشرة وتفتقد فى أحيان كثيرة الأداء المهنى الجيد. وتركّز القناة على برامج خاصة تقدم ألوانًا من الفنون الروسية وتقدم جوانب عديدة من التقدم فى المجالات العلمية والصناعية. وتتجنب القناة الخوض فى موضوعات سياسية تسبب حساسية لنظم الحكم العربية. ولهذا فإن هذه القناة لا تجذب نسبة كبيرة من المشاهدين فى البلاد العربية.

أهداف خاصة :

١ - تحاول القناة تبرير عمليات روسيا العسكرية فى الشيشان وهى العمليات التى أثارت غضب جماهير غفيرة فى الدول الإسلامية متضامنة مع شعب الشيشان المسلم.

٢ - تحاول القناة تبرئة روسيا من عمليات تشجيع هجرة اليهود إلى إسرائيل لدعم إسرائيل بشريًا خاصة وإن أكثر التيارات السياسية تشدداً ضد العرب فى إسرائيل تضم أغلبية من اليهود الروس.

الفضائية الألمانية DW:

زادت قناة «DW» الفضائية الألمانية من فترة بثها باللغة العربية موخراً. وتقدم الأخبار التى تركز على الأحداث الساخنة التى تقع بالبلاد العربية لكنها تتحرى الابتعاد تماماً عن المعايير المهنية عندما تخشى أن يفسر ما تقدمه على أن به شبهة نقد لإسرائيل. والواضح أن عقدة الخوف أو على الأقل الرغبة فى

عدم إغضاب إسرائيل تهيمن على أداء القناة خاصة فيما يتعلق بأحداثٍ تكون إسرائيل طرفاً فيها.

ورغم أن ألمانيا تتمتع بتعاطف وإعجاب قطاعات كبيرة من الجماهير العربية، فإن هذا الأداء غير المنصف والذى يتعامل مع الأخبار بأسلوب انتقائى يبعد القناة الألمانية عن دائرة القنوات التى تجذب الجماهير العربية. كما أن هذه القناة تشبه كثيراً القناة الروسية فى تجنب الموضوعات الشائكة التى تُغضب أنظمة الحكم العربية وتركز على إبراز التقدم التكنولوچى والصناعى وكلها موضوعات لا تمثل جاذبية كبيرة للمشاهد العربى.

قناة فرانس ٢٤ الفرنسية

مصالح فرنسا فى المنطقة العربية جعلتها تاريخياً تولى المنطقة اهتماماً كبيراً، وتحاول أن تحيى دوراً فرنسياً مؤثراً فى بعض دول المنطقة، سواء فى لبنان أو سوريا أو فى دول المغرب العربى حيث كان الاستعمار الفرنسى اللاعب الرئيسى فى هذه الدول.

وعندما تتوجه فرنسا بخطاب إعلامى إلى المنطقة فلديها فرصة جيدة لكسب تعاطف شعوب هذه الدول التى تخلصت من مشاعر العداء لفرنسا بعد زوال احتلالها العسكرى لهذه البلاد، وبقى النفوذ الأدبى الفرنسى كبيراً نتيجة لحرص فرنسا فى فترات الاستعمار على نشر لغتها وثقافتها. وزال الاحتلال وبقيت الثقافة واللغة ليمثلا رباطاً أدبياً وعاطفياً تجاه فرنسا.

وما ينطبق على الفضائية الروسية والألمانية من تحفّظ فى تناول الأخبار والبرامج السياسية نراه أيضاً فى القناة الفرنسية، وإن كان بدرجة أقل، وهى تتناول أيضاً بعض الأخبار بطريقة لا يرضى عنها المواطن العربى خاصة فى معالجتها للأحداث بالأراضى الفلسطينية المحتلة أو قضايا الاحتلال والمقاومة العراقية، فضلاً عن خطابها غير المتوازن فى قضايا إفريقية خاصة فيما يتعلق بالأحداث والصراعات فى بعض البلاد التى لم يزل لفرنسا نفوذ خاص بها. ولم

تستطع هذه القناة الفرنسية أن تحقق النجاح الذى حققته من قبل فى السبعينيات من القرن الماضى «إذاعة مونت كارلو»، لأن الأخيرة كانت تتعرض بحرية أكبر للأحداث الساخنة فى البلاد العربية خاصة الأحداث التى تحجبها أنظمة الحكم عن شعوبها.

أهداف خاصة:

١ - تقدم القناة فرنسا باعتبارها صديق العرب والمسلمين والدولة الأوربية الأكثر تسامحًا تجاه الجاليات الإسلامية الكبيرة الموجودة بها.

٢ - تحاول القناة تعزيز النفوذ الأدبى الفرنسى فى الدول العربية التى تسود فيها اللغة الفرنسية وبالتالى الثقافة الفرنسية.

القناة الصينية

دخلت الصين مؤخراً عام ٢٠٠٩ مجال البث الفضائى الموجة إلى البلاد العربية باللغة العربية. وكانت هذه الخطوة متوقعة مع تزايد النشاط الصينى فى مجالات الاستثمار والتجارة بدرجة مذهلة مع العديد من البلاد العربية. وأدرك المسئولون الصينيون مؤخراً مدى حاجتهم إلى صوت إعلامى قوى يدعم هذا النشاط الاقتصادى المتنامى بسرعة، وإن يكون هذا الصوت الإعلامى ناطقًا بلغة الجماهير العريضة فى البلاد العربية، بل والمفهوم بدرجة معقولة فى كثير من البلاد الإفريقية التى تجذب الاهتمام الصينى المتزايد فى مجالات الاستثمار المختلفة.

ورغم أن فترة البث التى تابعتها لا يمكن أن تمنح أى متابع فرصة لتقييم موضوعى معقول لأداء هذه القناة إلا أن البداية لا تبشر بإمكانية وصول هذه القناة إلى دائرة المنافسة مع أى فضائية موجهة. فقد اعتمدت القناة على مذيعين صينيين يجيدون اللغة العربية. ولاشك أن هؤلاء المذيعين والمذيعات مهما أتقنوا اللغة العربية فإن لكنتهم الأجنبية خاصة وهم يتحدثون بالفُصحى ستظل حائلا دون تواصلهم مع الجماهير بيسر، فالجماهير تشعر بأن المذيع

شخصاً غريباً عنها وهذا الشعور يمثل حاجزا نفسياً يحول دون شعور المشاهدين بالألفة مع المذيع وبالتالى متابعته. ويبدو أن القناة ستركز على تقديم برامج عن الفنون الشعبية الصينية وعلى تقديم برامج خاصة عن ألوان النشاط الصناعى والتنموى فى الصين والدعاية للصناعة الصينية، ومحاولة تقديم نماذج لحياة المواطنين الصينيين يبدو فيها هؤلاء المواطنون وهم يتمتعون بظروف معيشية ممتازة.

وكل هذه المواد قد تجذب بعض النخب الثقافية التى تريد أن تتعرف على هذه الجوانب الفنية والثقافية لكننى أشك فى أنها قادرة على جذب الجماهير العادية.

أهداف خاصة:

١ - تحاول القناة تغيير الصورة الذهنية التى استقرت فى الوجدان العربى عن القمع الصينى للحريات الشخصية.

٢ - تحاول استغلال الانتشار الواسع للمنتجات الصينية رخيصة الثمن فى معظم البلاد العربية لترويِّج لأهمية الاستثمار فى الصناعات الصينية.

٣ - تضرب على وتر الصداقة الصينية للعرب وكيف وقفت الصين فى المحافل الدولية مؤيدة للقضايا العربية.

فضائيات عربية باللغات الأجنبية

أهداف هذه القنوات:

إطلاق قنوات عربية موجهة بلغات أجنبية لمخاطبة الجماهير بدولة أجنبية، تمثل الوجه الآخر للقنوات الأجنبية الموجهة باللغة العربية إلى البلاد العربية.

ولعل الدافع الأكثر أهمية هو إدراك الدول العربية أن الجماهير فى العديد من الدول الأوربية وفى أمريكا يجهلون حقائق كثيرة عن الدول العربية وأن الصورة الذهنية التى رسمها الإعلام الغربى والصهيونى عن العرب هى صورة بالغة التخلف، تجعل الجماهير فى تلك البلاد لا تتعاطف مع العرب.

كما يمثل جهل أغلبية الشعوب بتلك الدول لحقائق الصراع العربى الإسرائيلى الهاجس الأكبر الذى يدفع البلاد العربية لمحاولة تقديم الحقائق حول هذا الصراع لمواطنى تلك الدول؛ أملاً فى تشكيل رأى عام ضاغط يستطيع أن يؤثر بقوة على أنظمة الحكم المنحازة لإسرائيل لتعديل موقفها وإتخاذ موقف أكثر عدلاً وتوازنًا.

وقد سبق لبعض الدول العربية ـ خاصة مصر ـ أن أطلقت العديد من الإذاعات باللغات الأجنبية لتحقيق هذا الهدف خاصة بعد قيام ثورة ١٩٥٢.

وكان طبيعيًا أن تفكر الدول العربية وفى مقدمتها مصر فى استغلال البث الأحدث وهو البث الفضائى لإطلاق فضائيات ناطقة بلغات أجنبية وموجهة إلى الدول الأجنبية.

قناة النيل الدولية :

سبقت مصر بإطلاق أول فضائية عربية موجهة باللغتين الانجليزية والفرنسية وكان المشاهد المستهدف الذى حدده اتحاد الإذاعة والتلفزيون المصرى من إطلاق هذه القناة ، هو المواطن الأوربى والأمريكى ومواطنى الدول الإفريقية الناطقة بالإنجليزية والفرنسية[١] .

وكانت البداية واعدة ، فقد تم اختيار المذيعات والمذيعين بعناية شديدة من بين من يتقنون هاتين اللغتين إتقاناً تاماً ، ومن شباب لهم دراية معقولة بأسلوب تفكير المجتمعات الغربية ، وبالتالى استطاعوا أن يوجهوا رسائلهم الإعلامية إلى الشعوب المستهدفة بأسلوب تتقبله هذه الشعوب . ونجحت هذه القناة فى لفت انتباه قطاعات من الجماهير الأوربية المهتمة بشئون المنطقة العربية والتى يعنيها أن تتابع أحداث المنطقة العربية من منظور عربى يخاطبها بلغتها خاصة عندما تكون هناك أحداث ساخنة بالمنطقة .

(١) أضيف إلى هاتين اللغتين فى التسعينيات من القرن العشرين فقرات باللغة العبرية موجهة إلى إسرائيل.

وقدمت القناة العديد من البرامج التى تصور الحياة اليومية فى مصر من زوايا تكشف عن الوجه المشرق لمصر المعاصرة وعنيت أيضا باستغلال الكنوز الأثرية الفرعونية والإسلامية والقبطية التى تشكل ثروة أثرية لا نظير لها فى العالم لجذب السياحة الأجنبية.

وحرصت القناة فى تناولها للشئون السياسية على تقديم مصر باعتبارها بلدًا ديمقراطيًا يحرص على صيانة الحريات العامة. وتجنبت إلى حد بعيد التعرض للصراع العربى الإسرائيلى بإسلوب الإثارة . بل التزمت بإسلوب الحوار الموضوعى وحرص خطابها على أن يبتعد عن عبارات العداء الصارخة.

غير أن هذه البدايات المبشرة لم يكتب لها الاستمرار لتتمكن من جذب المزيد من المشاهدين . فقد تعرضت هذه القناة لممارسات شوهتها تمامًا بالمعيار المهنى ولم تمض سوى فترة وجيزة حتى كانت القناة فقدت تماماً الأعداد القليلة التى سبق أن جذبتها من الجماهير الغربية .

ولهذا التشويه قصة أعتقد أن من المفيد تعريف القارئ بها لأنها تكشف عن مأساة يتعرض لها الإعلام العربى عامة والإعلام المصرى خاصة وهى سيطرة مافيا الإعلان على الإعلام وتشابك مصالح المسئولين مع مافيا الإعلان.

حكاية تشويه قناة

بدأت قناة النيل البث «فضائياً» وهذا أمر طبيعى لأنها قناة موجهة إلى جماهير فى قارات أوربا وأمريكا وإفريقيا، والبث الفضائى وحده هو البث المناسب فى هذ الحالات.

فى هذا الوقت قام نجل أحد كبار المسئولين بوزارة الإعلام بإنشاء وكالة إعلان تقدمت بعرض تلتزم بموجبه بجلب أكثر من خمسة آلاف دقيقة إعلانية بسعر يقل عن مائتى جنيه مصرى للدقيقة[1].

(١) سعرالدقيقة فى هذه الفترة يتجاوز الستة الآف جنيه على القناة الأولى والأربعة الآف جنيه على القناة الثانية.

وتم قبول عرض هذه الشركة وبرر المسئولون قبولهم بالسعر المتدنى للغاية بأن طبيعة القناة لن تسمح بجلب أى إعلانات وأن اتحاد الإذاعة والتليفزيون يرى أن هذه الصفقة تحقق له عائداً من إعلانات يشك فى أن تتكمن الشركة من جلبها .

فى هذه الفترة كانت القاهرة تستضيف المؤتمر العالمى للمرأة وصدر قرار من وزارة الإعلام ببث «قناة النيل الدولية» على «قناة أرضية» بالإضافة إلى البث الفضائى. وعلل المسئولون هذا القرار بأنه يحقق رغبة أعضاء الوفود المشاركة فى المؤتمر العالمى للمرأة لمتابعة نشاط المؤتمر الذى يبث على قناة النيل الدولية. وأكدوا أن هذا البث الأرضى عملية «مؤقتة» ينتهى بنهاية انعقاد جلسات مؤتمر المرأة العالمى .

وفجأة تقرر استمرار بث هذه القناة على الموجات الأرضية بالإضافة إلى البث الفضائى[٢]. وفى خطوة غريبة وشاذة قرر المسئولون باتحاد الاذاعة والتليفزيون بث مسلسلات وأفلام وأغانٍ عربية فى أفضل أوقات المشاهدة على هذه القناة .

ولاحظ من تابع هذه القناة أن أفضل المسلسلات والأفلام العربية تعرض «عرضاً أول» على هذه القناة. وهذه المادة بالذات من أكثر المواد جذباً لجماهير الشعب من شرائح المجتمع محدودة الدخل وهى الجماهير التى يسعى المعلنون لجذبها لنوعية السلع التى تمثل إعلاناتها النسبة الأكبر بين الإعلانات التلفزيونية. كما إن هذه النوعية من المشاهدين ليست المستهدفة من بث هذه القناة.

وتدفقت إعلانات مساحيق الغسيل والمشروبات الغازية والزيوت وغيرها من السلع التى كانت إعلاناتها تذهب عادة إلى القناتين الأولى والثانية. وقد أغرت الأسعار التى قدمتها شركة ابن المسئول أغرت المعلنين لتفضيل الإعلان على

(١) البث الأرضى تم ليسمح للملايين من الجماهير غير القادرة بالتقاط هذه القناة كما يلتقطون بث القنوات الأولى والثانية أى بدون أطباق أو أجهزة استقبال «ريسيفر»، وهذه الجماهير هى المستهدفة من شركات الإعلان خاصة فى إعلانات السلع الشعبية.

«قناة النيل الدولية». لأن سعر الدقيقة فى حدود ثلث السعر على القناة الأولى أى فى حدود ألفى جنيه للدقيقة، لا يحصل التليفزيون منها إلا على السعر المحدد بالعقد وهو مائتى جنيه.

وفقدت القناة هويتها تماماً وأصبحت مسخاً مشوهاً وكانت النتيجة الطبيعية أن القناة فقدت الأعداد القليلة التى جذبتها من مشاهدى الدول الأجنبية. وانتهى الأمر بهذه القناة إلى أن أصبحت مجرد موجة تبث المسلسلات والأفلام العربية والإعلانات، أما المواد والبرامج المذاعة باللغات الأجنبية فلم تعد مواد قادرة على جذب المشاهدين المستهدفين من توجيه مثل هذه القناة إلى البلاد الأجنبية.

هذه القصة تكشف عن أسلوب الفساد المركّب الذى تسبب فى إهدار مئات الملايين من أموال الشعب المصرى. وهى الملايين التى أنفقت على إنشاء وتشغيل هذه القناة؛ لأنها ـ أى هذه القناة ـ فشلت تمامًا فى تحقيق الهدف الذى أنشئت من أجله . وهذا الفشل المُتعَمّد خسرت به مصر الدولة، بل والقضايا العربية، ما يفوق مئات الملايين المهدرة ، فقد صمت صوت عربى كان من الممكن أن يسهم بقوة فى الدفاع عن القضايا العربية عامة والمصرية خاصة، لدى الرأى العام العالمى[1].

قنوات سعودية وكويتية

أطلقت السعودية والكويت قنوات ناطقة باللغات الإنجليزية والفرنسية موجهة إلى الرأى العام الأوربى والأمريكى. غيرأن هذه القنوات لم تستطع أن تجذب الجماهير الأوربية والأمريكية. فما تقدمه هذه القنوات من مواد ترفيهية كلها مواد أوربية أمريكية وأكثرها مستهلك من كثرة ما شاهدته جماهير هذه

(١) حرصت على تقديم هذه القصة لأنها تتكرر بأشكال شتى طرفاها «وكالات الإعلان» والقنوات التليفزيونية الأرضية والفضائية ، الرسمية والخاصة. والقصص المتكررة تدور كلها حول محور واحد هو سيطرة الإعلان على «النشاط الإعلامى» ، وهو نشاط تتولاه فى أحيان كثيرة جهات أو شخصيات لهم صلة بالمسئولين الكبار سواء فى وزارة الإعلام أو فى مؤسسات الحكم المختلفة.

وهذه السيطرة هى أخطر الآفات التى يتعرض لها الاعلام فى كل العصور وفى جميع أنحاء العالم. ولهذا فإن «علوم الإعلام» بمختلف أتجاهاتها ومدارسها تحذر بكل قوة من هيمنة «الإعلان» و «والدعاية» على «الإعلام».

الشعوب على شاشات قنواتها. وما تقدمه من «أخبار» وموضوعات «سياسية» تقدمه بنفس طريقة وأسلوب قنواتها الرسمية التى لا تلتزم بالمعايير المهنية فلا تجد جماهير هذه البلاد الأجنبية فى هذه المواد السياسية أو الإخبارية ما يستحق المتابعة .

قناة «الجزيرة الدولية» :

أطلقت شبكة قنوات الجزيرة قناتها الناطقة باللغة الإنجليزية فى نوفمبر «كانون أول» عام ٢٠٠٦ وقد حرص المسئولون عن شبكة الجزيرة على الإعداد الجيد للقناة فقاموا بتهيئة نفس المناخ كما فعلوا للجزيرة الناطقة بالعربية من إرتفاع سقف الحرية واختيار الكوادر المدربة جيداً، وشبكة المراسلين القادرة على متابعة الأحداث من مواقعها لحظة بلحظة.

وكان لبث قناة «الجزيرة الدولية» بعد سنوات من إطلاق قناة الجزيرة العربية، كان له أثر كبير فى إثارة اهتمام الجماهير بهذه القناة فى البلاد الأوربية وأمريكا وغيرها من البلاد الأجنبية.

فقد كانت «الجزيرة» الناطقة بالعربية قد حققت نجاحات، وأثارت جدلاً واسعًا فى الأوساط الإعلامية الدولية. وكل هذا أسهم ـ دون شك ـ فى إثارة اهتمام الجماهير التى تابعت هذا الجدل والضجة المثارتن حول «الجزيرة» العربية، ليتابعوا قناة جديدة تنتمى إلى هذه الشبكة المثيرة للجدل.

وكانت بداية بث «الجزيرة الدولية» فى مثل هذا المناخ المواتى فرصة لتجذب هذه القناة أعداداً مناسبة من الجماهير فى البلاد الأوربية وأمريكا.

فضائية عربية رسمية

فى اجتماع وزراء الإعلام العرب فى شهر يونيو «حزيران» عام ٢٠٠٨ طرح وزير الإعلام المصرى فكرة إنشاء فضائية عربية موجهة للبلاد الأجنبية للدفاع عن القضايا العربية. وقاد وزير الإعلام المصرى هذا الاتجاه وقدم اقتراحًا لمجلس وزارء العرب.

وجاء فى نص كلمته «لقد سبق أن اتفقنا على وضع خطة للتحرك الإعلامى فى الخارج إلا أن هذا الأمر لم يتم تفعيله». إلى أن يقول «وربما يدفعنا ذلك لأن نكون أكثر طموحاً بأن نقترح دراسة إمكانية إنشاء قناة فضائية عربية تقوم بهذا الدور ، فقد أكدت التجارب أن القنوات الفضائية التلفزيونية هى أسرع السبل للوصول بالرسالة الإعلامية وتعظيم الاستفادة منها». وعند مناقشة هذا الاقتراح تمت إحالته إلى لجنة لمزيد من الدراسات حول هذا المشروع .

والأمر المؤكد أن مثل هذه القناة لن ترى النور، لأن الدول العربية لا يمكن أن تتفق على أسلوب موحّد فى توجيه رسائلها الإعلامية إلى الرأى العام العالمى.

وقد سبق لمثل هذه الاقتراحات التى تتحدث عن «صوت عربى» موحد، سبق أن طُرحت كفكرة ولم تر النور مطلقاً .

وعلى ضوء هذه الصورة فإن قناة «الجزيرة الدولية» سوف تستاثر وحدها بالقدرة على مخاطبة الرأى العام الدولى ، وبالتالى فإن وجهة النظر التى سوف تصل إلى هذا الرأى العام العالمى ستكون بلا شك وجهة نظر المسئولين القطريين أصحاب هذه القناة .

وليس معنى هذا رفض أو تأييد وجهة النظر هذه لكننى فقط أردت أن أسجل بوضوح وضعاً قائماً لا أرى الآن بوادر توحى بتغييره .